بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع ابنائه

العدد ١١٦

السبت ٦ شوال ١٤٣٣ هـ ٢٥ آب ٢٠١٢ م

نشرة نصف شهرية
تصدر عن المكتب الاعلامي
متخصصة بنقل أحاديث وخطابات
وفتاوى وأخبار
سماحة المرجع الديني
آية الله العظمى
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد

احذروا مدعي الزعامة بغير حق (١)

كثر في هذا الزمن مدعوا الزعامات سواء على الصعيد الديني أو السياسي أو الاجتماعي، وهي قضية خطيرة بل لعلها أخطر القضايا التي تواجهها الأمة، لأن بها صلاح الأمة وفسادها في دينها ودنياها وآخرتها، ففي الحديث عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله ومن هما؟ قال (ﷺ): الفقهاء والأمراء).(٢)

فللزعامة والقيادة والرئاسة على الناس شروط ومواصفات وخصائص يجب توفرها ليكون مؤهلا لهذا الموقع الشريف والروايات في ذلك كثيرة لا يسع المجال ذكرها، وإنما نورد شيئاً منها للاتعاظ والتدبر.

ومن تلك الشروط: توفر ملكة الاجتهاد والإحاطة العلمية التامة بأصول الشريعة وكيفية تحصيل الحكم الشرعي والموقف إزاء أي قضية تواجه الأمة من تلك المصادر، ففي رواية صحيحة في الكافي بسنده عن العيص بن القاسم قال: (سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلا هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية تعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آت منا فانظروا على أي شيء تخرجون).(٣)

وفي رواية صحيحة أخرى له بسنده عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي عن الإمام الصادق (ع)، جاء فيها: (وأنتم أيها الرهط فاتقوا الله فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) إن رسول الله (ﷺ) قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف).(٤)

ومن مؤهلات الزعامة: الخصائص والملكات النفسية والمعنوية، روى الشيخ الصدوق (قده) في الخصال بسنده عن الإمام الصادق (ع) عن أبيه (ع) قال: (إن الإمامة لا تصلح إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من ولي حتى يكون له كالوالد الرحيم).(٥)

وقد ورد التحذير الشديد من دعوى الزعامة والقيادة والرئاسة بغير حق، والتحذير موجه إلى الشخص نفسه ليثوب إلى رشده ويقلع عن فتنته ويتقي ربه، وموجه أيضا إلى الناس لكي لا يتبعوا مثل هذه الزعامات البائسة الخاوية الحمقاء، قال الإمام الصادق (ع): (إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك).(٦)

وعن الإمام الرضا (ع) بعد ما ذكر الإمام (ع) رجلا وإنه يحب الرئاسة: (ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرئاسة).(٧)

ومما ورد فيما ناجى الله تعالى به موسى (ع): (لا تغبطن أحدا برضا الناس عنه حتى تعلم أن الله راض عنه ولا تغبطن أحدا بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه).(٨)

وهذا التحذير يجب أن نستحضره دائما لكثرة الطامحين إلى مواقع الزعامة والرئاسة في هذا اليوم وفي كل يوم، وهم يعلمون أنهم ليسوا من أهلها، ولأنهم فاشلون لا يستطيعون السعي لبلوغ هذا الاستحقاق، فإنهم يسلكون أساليب ملتوية وماكرة تخدع السذج من الناس والمهووسين باتباع كل ناعق من أصحاب هذه الدعوات، والذين يبحثون عن عناوين ومواقع تحقق لهم الجاه والامتيازات.

وهذه الأساليب الماكرة الخادعة للناس لا يصعب إيجادها مع وجود شياطين الجن والإنس، كالذي حدث بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، روى ابن هشام في السيرة بسنده عن أبي هريرة قال: (لما توفي رسول الله (ﷺ) قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (ﷺ) قد توفي، وإن رسول الله (ﷺ) ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ ووالله ليرجعن رسول الله (ﷺ) كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله (ﷺ) مات.

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، ورسول الله (ﷺ) مسجى في ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله (ﷺ).

قال: ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا. قال: ثم رد البرد على وجه رسول الله (ﷺ)، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين.

قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم؛ قال: فقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله (ﷺ) قد مات).(٩) أقول بهذه الحيلة قطعوا الطريق على كل من يفكر بتنفيذ وصية رسول الله (ﷺ) في الخليفة من بعده حتى يحبكوا مؤامرتهم ويرتبوا وضعهم ويأتي خليفتهم المزعوم الذي كان خارج المدينة.

فهل كان الرجل يعتقد فعلا أن محمد (ﷺ) لن يموت؟ فهو جاهل بكتاب الله تعالى إذ يقول (إنك ميت وإنهم ميتون) (الزمر/٣٠) ويقول سبحانه (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) (آل عمران/١٤٤) وبعمومات الكتاب (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (النساء/٧٨)، وأين كان حين نعى رسول الله (ﷺ) نفسه مرات بقوله (يوشك أن أدعى فأجيب) وذكر (ﷺ) شاهدا على ذلك أن جبرئيل كان يعارضه بالقرآن في كل سنة مرة وعارضه هذه السنة مرتين، ووصيته بالتمسك بالثقلين بعد وفاته (ﷺ).

وإذا كان جاهلا بكل هذه الواضحات فكيف جاز له أن يكون خليفة على المسلمين وكيف يسير أمورهم؟!.

إذن هو لا يخفى عليه ذلك لذا كان من الفارين يوم أحد حينما صاح أحدهم أن رسول الله (ﷺ) قد قتل، ولكن هذه الدعوى كانت لكسب الوقت حتى يجري ترتيب الأمور لمن يريدون، كالذي تفعله بعض الحكومات اليوم حينما تؤجل إعلان موت الحاكم حتى تمهد الأمور لولي عهده، وإلى اليوم توجد مثل هذه الحيل للاستمرار في خداع الناس وتوجيههم إلى ما يريدون.

ومن أساليب الخداع التي يتبعها الطامعون في الرئاسات التظاهر بالقداسة والابتعاد عن الدنيا، وهم إنما يتركون بعض متع الدنيا الزهيدة ليفوزوا بدنيا أهم وأوسع، وهنا رواية مهمة عن الإمام السجاد (ع) يجب أن نستفيد منها دائما: روي عن الإمام الرضا (ع) قال (قال علي بن الحسين إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته فرويدا لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه. فنصب الدين فخا لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويدا لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرما.

التتمة في الصفحة الرابعة

(١) كلمة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد الطلبة والشباب الذي يقضون المعايشة، مدتها عشرة أيام في العشر الأواخر من شهر رمضان الى جوار مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتعد لهم برامج دينية وتوعوية، وقد استقبلهم سماحته يوم الثلاثاء ٢٥ رمضان ١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٨/١٤ (٢) الخصال للشيخ الصدوق (قده)، باب الاثنين [illegible] (٣) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدو، باب ١٣ ح١ [illegible] (٤) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، أبواب جهاد العدو، باب ٩، ح٢ (٥) الخصال: ١١٦ [illegible] (٨) بحار الأنوار: ٧٣/٧٢ (٩) السيرة النبوية لابن هشام: ج٤، ص٢٢٤.

كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قال الله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة:١٩٧.

وقال أمير المؤمنين (ع): (عباد الله، الله الله في أعز الأنفس عليكم، وأحبها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق، وأنار طرقه، فشقوة لازمة، أو سعادة دائمة. فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دللتم على الزاد، وأمرتم بالظعن، وحثثتم على المسير، فإنما أنتم كركب وقوف، لا تدرون متى يؤمرون بالسير، ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة، وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه، وتبقى عليه تبعته وحسابه. عباد الله، احذروا يوما تفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال).

ومن خطبة له (ع): (أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ، ومعاذ منجح، (فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق، ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته، وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته، الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي فـ (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) آل عمران:١٠٢).

سئل الإمام الصادق (ع) عن معنى التقوى وتفسيرها، فاختصر (ع) الجواب بقوله: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك).

فللتقوى ركنان:

(الأول) ترك ما يكره الله تبارك وتعالى ويسخطه، وهو أوسع من المحرمات فيشمل المكروهات المؤثرة في تكامل الإنسان وتقربه من الله تعالى.

(الثاني) فعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وهو أعم من الواجبات فيشمل المستحبات الموجبة لرضا الله تبارك وتعالى ومحبته.

فمن أراد الكمال سار بهذين الطريقين معا، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فمن قام ببعض الطاعات لكنه لم يجتنب المعاصي والسيئات فإنه يهدم ما بناه بتلك الطاعات وسوف لا يقوم له بناء أبدا، روي عن المعصومين (ع) قولهم: (جدوا واجتهدوا، وإن لم تعملوا فلا تعصوا، فإن من يبني ولا يهدم يرتفع بناؤه وإن كان يسيرا، وإن من يبني ويهدم يوشك أن لا يرتفع بناؤه).

ونفس المعنى يجري في الأمراض البدنية، فإن من ابتلي بمرض معين كالسكري أجاركم الله تعالى منه فإن الطبيب يأمره بأخذ بعض العلاجات وينهاه عن ارتكاب بعض الأفعال وتناول أطعمة تضره وتعرقل العلاج، فإذا أراد الحفاظ على صحته فلا بد أن يأخذ بهما معا.

ولو حاولنا ترجيح أحد الركنين على الآخر وأيهما أهم وأيهما أعظم في تحصيل التكامل فإن الجواب يكون لصالح الاجتناب عما يسخطه الله تبارك وتعالى ويكرهه، وقد دلت عليه بعض الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين (ع): (اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات)، ومما ورد في خطبة النبي (ﷺ) في آخر جمعة من شعبان لاستقبال شهر رمضان، وسأله علي (ع): (ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ قال (ﷺ): الورع عن محارم الله).

فمعرفة الذنوب بمداها الواسع ومراتبها الكثيرة بحسب مستويات الأشخاص، وتحصيل القدرة على اجتنابها صغيرها وكبيرها، مما يهتم به الساعون إلى الكمال، لذا فقد شغل حيز كبير من القرآن الكريم بيان الذنوب وآثارها في الدنيا وفي الآخرة والتحذير منها والتأكيد على اجتنابها، وقصص الأمم التي عكفت على المعاصي وما حل بها من العذاب بسبب ذلك، والحياة السعيدة لمن اجتنبها، ولو حاولنا جمعها لوجدنا أن القرآن الكريم كله يعالج هذه القضية بشكل مباشر أو غير مباشر.

لماذا يذنب العبد؟

لا يمكن التقليل من قوة ضغط الذنوب والخطايا على الإنسان لذا نرى الكثير ممن يرتكبها مع كثرة ما يعرف عن آثارها الوخيمة في الدنيا وعاقبتها الفظيعة في الآخرة، يقول أمير المؤمنين (ع): (ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار) فالخطايا كالخيول العنيدة المتمردة على صاحبها ولا لجام لها ليمسك بها فتقتحم بصاحبها إلى المخاطر.

وهنا يأتي السؤال: من أين جاءت هذه القوة للخطايا؟ أو قل: إذا كانت الذنوب بهذه الخطورة وهذا التأثير المدمر في حياة الإنسان فلماذا يرتكبها، وهذا بحث نفسي واجتماعي وقد يحتاج إلى إجراء استبيان، ولكن يمكن استفادة بعض مناشئ الذنوب مما ورد في الروايات الشريفة، ينفع الالتفات إليها في اجتنابها وتوقيها، عن الإمام الباقر (ع) قوله: (توقي الصرعة خير من سؤال الرجعة).

١ـ الجهل بمقام الربوبية ووظائف العبودية، فإن من يعرف الله تعالى يتجنب المعاصي بمقدار تلك المعرفة، ويؤتيه الله تعالى فرقانا يميز به الحق والباطل (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) الأنفال:٢٩، حتى إذا اكتملت عنده المعرفة كالمعصومين (ع) أصبح عبدا خالصا لله تعالى ينفر بطبعه من المعصية ويتقزز منها، فمن رأى الغيبة على حقيقتها ووجدها أكلا للحم أخيه ميتا هل يقدم عليها؟ ومن رأى الدنيا جيفة قد اجتمعت عليها الكلاب هل يتنافس عليها، وهكذا.

ثم الجهل بأمور الدين، فما دام الإنسان لم يتفقه في دينه ولم يتعرف على ما يقربه إلى الله تعالى ويجنبه سخطه فإنه يتورط في المعاصي من حيث يعلم أو لا يعلم، عن أمير المؤمنين (ع) قال: (جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه)، وكتطبيق لهذا المبدأ قد ورد في التجارة قول الإمام الصادق (ع): (من أراد التجارة فليتفقه في دينه ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات)، والتحذير لا يختص بالتجارة وإنما يعم كل شؤون الحياة، لأنها كلها مقننة بأحكام في الشريعة، فالجهل بها يوقع في المعصية كجهل رب الأسرة بأن كثيرا مما يفعله في البيت هو ظلم لزوجته وأسرته، والظلم ذنب لا يغفر حتى يرضى المظلوم.

٢ـ وجود الدوافع وأصول الذنوب في النفس الإنسانية المعبر عنها بالغرائز والشهوات التي خلقت أصلا لتؤدي أدوارا إيجابية في حياة الإنسان ولتكمل قواه الأخرى كالعقلية والجسدية والقلبية، لكنها إذا خرجت عن حدها إلى جانب الإفراط أو التفريط كانت سببا للوقوع في المعاصي، أشار إلى هذه القوى هشام بن الحكم في مناظرته ابن أبي عمير في الاستدلال على عصمة الإمام (ع) قال: (إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتفية عنه) أي المعصوم، ثم بين ذلك، فراجعه.

٣ـ تزيين الشيطان بالتزيين والإغواء والتطمين والتسويف، حتى يقارف الذنب والمعاصي، قال تعالى حاكيا عن إبليس: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين) الحجر: ٣٩-٤٠، وفي دعاء الإمام السجاد (ع): (فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما عصاك عاص، ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضل عن طريقك ضال)، وقد ورد الكثير في القرآن الكريم والروايات الشريفة مما لا يخفى على أحد.

هذا التزيين الشيطاني مع الموافقة لأهواء النفس وشهواتها جعل للخطايا تأثيرا ساحرا يسحب صاحبه حتى يتورط فيها، قال رسول الله (ﷺ): (احذروا سكر الخطيئة، فإن للخطيئة سكرا كسكر الشراب، بل هي أشد سكرا منه، يقول الله تعالى: (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) البقرة: ١٨).

٤ـ الاغترار بالستر الإلهي على العاصين وعدم فضح الإنسان بذنبه، [illegible] وأكرم الأكرمين، ستار الذنوب بكرمك وتؤخر العقوبة بحلمك) (الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي).

وذلك كله لسعة رحمة الله ولطول أناته على ذنوب عباده رحمة بالعباد وإعطائهم مزيدا من الفرص للندم والرجوع والإقلاع عن الذنب، وحبا من الله لعباده وشفقة عليهم، فيتمادى الإنسان ويغتر ظانا أن الفرصة مفتوحة على الدوام، ولا يعلم أنه قد يوصله تماديه واغتراره إلى أن يهتك الستر وانغلاق الباب وسد الفرصة. قال تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) النساء: ١٧-١٨.

٥ـ استصغار الذنب والاستخفاف به لما ارتكز في الذهن من أن الذنوب الموعود بها النار هي الكبائر أما غيرها فيمكن ارتكابها، وهذا التفكير بحد ذاته من الكبائر لما فيه من الجرأة على الله تعالى وعدم الاعتبار بعظمته وعلو شأنه وهو موجب لسخط الله وسلب اللطف عن العبد فتؤدي به هذه الصغائر إلى الوقوع في الكبائر والعياذ بالله.

لذا كثر التحذير من استصغار أي ذنب، قال أمير المؤمنين (ع): (لا تستصغروا قليل الآثام فإن الصغير يحصى ويرجع إلى الكبير)، وروي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (إن رسول الله (ﷺ) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله (ﷺ): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالبا، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)، وعن أمير المؤمنين (ع) قال: (أعظم الذنوب عند الله سبحانه ذنب صغر عند صاحبه) وعنه (ع): (إن الله أخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغروا شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم).

٦ـ الغفلة، فإن كثيرا من الذنوب وبعضها من الكبائر لا ترتكب للجهل بها وإنما للغفلة كالغيبة التي يعلم أنها من الكبائر ووصفها الله عز وجل بأشنع الأوصاف وهي إدام أهل النار، ومع ذلك أصبحت الغيبة فاكهة المجالس والمقاهي والندوات والمواقع الإلكترونية والدوائر الرسمية ووسائل الاتصال، فينبغي للمؤمن كي يتجنب الغفلة أن يترك المقدمات الموجبة لها، وإذا عرضت عليه فليخرج منها فورا ويتذكر الله تعالى، قال عز وجل: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) الأعراف: ٢٠١، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الغفلة ضلالة) وعنه (ع): (إياك والغفلة والاغترار بالمهلة فإن الغفلة تفسد الأعمال)، ومن وصايا النبي (ﷺ) لأبي ذر: (هم بالحسنة وإن لم تعملها لكيلا تكتب من الغافلين).

٧ـ سوء الخلق، عن النبي (ﷺ): (لكل ذنب توبة إلا سوء الخلق، فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب).

٨ـ الاختلاط الكثير مع الناس ومجالسة البطالين، والخوض في فضول الكلام، فهذه الأمور كلها مظنة الوقوع في الذنوب والمحرمات، لذا ورد التحذير من حضور هذه المجالس والمشاركة في اللغو الباطل (وكنا نخوض مع الخائضين) المدثر: ٤٥، وعن أمير المؤمنين (ع) قال: (مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان)، والحديث عن رسول الله (ﷺ): (أكثر الناس ذنوبا أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه) وعن أمير المؤمنين (ع): (إياك والهذر، فمن كثر كلامه كثرت آثامه) وعنه (عليه السلام): (الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة).

٩ـ سوء فهم بعض ما ورد في القرآن الكريم كالشفاعة والرحمة والمغفرة أو في الروايات الشريفة من الثواب على بعض الأفعال كدخول الجنة بالبكاء على الحسين (ع) وإقامة شعائره وشفاعة أهل البيت (ع)، فقد أعطى الله تعالى هذه الكرامات لأهل البيت (ع) رحمة بالعباد لكي تسد الخلل والتقصير والقصور مع حسن النية والعزم على فعل الخير والطاعة وبذل الوسع في ذلك، وليس بأن تكون سببا للتمادي والجرأة والعناد واللجاجة. قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الأنبياء:٢٨ وقال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) الأعراف:١٥٦، وكما عبر الإمام الرضا (ع) عن إعطاء هذه الدرجات أنه (بشرطها وشروطها) في حديث سلسلة الذهب المعروف.

وقد حذر الإمام الصادق (عليه السلام) في وصيته عند وفاته وجمع أقرباءه ومتعلقيه: (إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة)، وقال الإمام الباقر (ع): (لا تتهاونوا بصلاتكم، فإن النبي (ﷺ) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته).

وقد لخص الإمام السجاد (ع) ذكر هذه الأسباب لمقارفة الذنوب بما ورد عنه في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي الذي يدعى به في أسحار شهر رمضان، قال (ع): (إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي، وغرني سترك المرخى علي) وقال (ع): (إلهي ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي ... سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفا بحقك فأقصيتني أو لعلك رأيتني معرضا عنك فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني).

كيف نحصل القدرة على اجتناب الذنوب؟

إن اجتناب الذنوب يحتاج أولا إلى معرفة تفصيلية بها لأن بعضها واضح معلوما وبعضها غير معلوم وبعضها لا يلتفت إليها مع أنها من الكبائر كعدم قضاء حوائج المؤمنين والاهتمام بها، ففي رواية عن الإمام الصادق (ع) وولده الكاظم (ع): (من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعا ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفورا له أو معذبا) [illegible] المعروفة، [illegible] على كتب السلف الصالح والاستماع دائما إلى المحاضرات الإرشادية والوعظية.

ومما يقوي فرصة ارتكاب الذنب زيادة المعرفة بالله تبارك وتعالى والتوثيق بالعلاقة به تبارك وتعالى. كما أنه محسن إلينا بما لا يعد ولا يحصى من النعم، فـ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (الرحمن:٦٠) و(أحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) (القصص:٧٧) وفي ذلك يقول أمير المؤمنين (ع): (لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ألا يعصى شكرا لنعمته). وعن الإمام الرضا (ع) في حديث قال: (ولو لم يخوف الله الناس بجنة ولا نار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه ولا يعصوه لتفضله عليهم وإحسانه إليهم وما بدأهم به من إنعامه الذي ما استحقوه).

والالتفات إلى أن الذنوب تمنع من بعض عطاء الله تبارك وتعالى ونحن محتاجون إليه. عن أمير المؤمنين (ع) قال: (لو لم يرغب الله سبحانه في طاعته لوجب أن يطاع رجاء رحمته).

أو تذكر أنك بمحضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (غافر:١٩)، فالمعصية والحال هذه جرأة على جبار السماوات والأرض وعدم تعظيمه، ومن وصايا النبي (ﷺ) لأبي ذر: (يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت)، ومن كلماته (ع): (لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا إلى من اجترأتم).

أو أن يلتفت إلى أن هذا الذنب قد يوجب هتك الستر الذي ضربه الله تعالى عليه فتفضحه الذنوب، أو أن ينال به سخط الله تعالى وغضبه بحيث لا تنفعه توبة ولا تدركه الألطاف الإلهية، قد أخفى الله سخطه في معصيته، فلا يعلم أي معصية توجب ذلك فليحذر العبد أن يتوفاها جميعا. [illegible]

آثار الذنوب في الدنيا والآخرة

ونتعرض هنا لبعض آثارها في الدنيا، أما في الآخرة فيكفي ما يراه الإنسان من أهوال البرزخ والحساب ويوم القيامة فإن في القرآن الكريم ما يكفي لبيان تلك العظائم (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (الحج:٢)، (يوما يجعل الولدان شيبا) (المزمل:١٧)، (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة:٨١)، (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (الأنعام:١٥)، (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) (النمل:٩٠)، وأهون ما يذكر من تلك الآثار الحجب عن النعيم مدة قد تطول كثيرا، ففي الكافي عن الإمام الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ﷺ): (إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن).

إن معرفة هذه الآثار الوخيمة للذنوب توجب على كل عاقل اجتنابها، عن الإمام علي (ع): (عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار) وعن الإمام الباقر (ع): (عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار).

وقد حصلنا من الروايات على جملة من تلك الآثار:

١ـ قصر العمر وتعجيل الفناء بحيث يظهر من أقوال المعصومين شيء عجيب وهو: أن أكثر الناس لا يبلغون أعمارهم المقدرة بسبب الذنوب وهو ما يسمى بالأجل المخروم، قال أمير المؤمنين (ع): (موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر)، وقال الإمام الصادق (ع): (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار)، وعن الإمام الصادق (ع) قال: (تجنبوا البوائق يمد لكم في الأعمار).

ومن الذنوب التي اشتهر أنها تعجل الفناء قطيعة الرحم، وعن رسول الله (ﷺ): (ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة، عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان).

٢ـ إن الذنوب سبب للمصائب والآلام والنكبات التي يتعرض لها الفرد والمجتمع، في الكافي عن الإمام الصادق (ع) قال: (أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى:٣٠) ثم قال (ع): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به).

وفي الكافي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (إن الله يكره لكم الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها) وقد تستحدث لهم بلاءات لم يكن يعرفونها من قبل، ففي الكافي عن [illegible] أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون).

[illegible] ... في الكافي عن [illegible] ما من شيء أفسد من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله) [illegible] قال: (كان أبي (ع) يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله)، وعن الإمام الصادق (ع) قال: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبدا) وشاهده من كتاب الله تعالى قوله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (المطففين:١٤).

٤ـ تنقص الرزق، في الكافي عن أبي جعفر (ع) قال: (إن العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق) وعن أمير المؤمنين (ع): [illegible] قال رسول الله (ﷺ): [illegible] تحرق أنهارها وقصرت أعمارها وأسلط عليها شرارها).

٥ـ الحرمان من الطاعات خصوصا المهمة منها كصلاة الليل، ففي الكافي عن أبي عبد الله (ع) قال: (إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم).

٦ـ زوال النعم، قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد:١١)، وفي الكافي عن الإمام الصادق (ع) قال: (كان أبي (ع) يقول: إن الله قضى قضاء حتما ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة)، وعنه (ع) قال: (إن الله عز وجل بعث نبيا من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون)، وضرب القرآن الكريم مثلا في (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور. وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) (سبأ:١٥-٢١).

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن من الذنوب التي تغير النعم وتعجل عقوبتها البغي على الناس.

٧ـ عدم استجابة الدعاء والإبطاء في تحقيق ما يطلبه الداعي، قال الباقر (ع): (إن العبد يسأل الحاجة من حوائج الدنيا فيكون من شأن الله قضاؤها إلى أجل قريب أو وقت بطيء فيذنب العبد عند ذلك ذنبا فيقول الله تبارك وتعالى للملك الموكل بحاجته لا تنجز له حاجته واحرمه إياها فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني).

٨ـ نكد الحياة وشقاؤها وتعاستها، قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه:١٢٤) وقال تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين. وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين. ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) (الزخرف:٣٦-٣٩). فمن يتعامى عن الحق واتباعه يبتليه الله تعالى بشيطان يغويه ويصده عن سبيل الله ويكون ملازما له فيشقيه ويتعبه: (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) (فصلت:٢٥).

٩ـ تشوش الفكر وانشغال الذهن وسوء الحفظ والحرمان من العلم النافع المقرب إلى الله تعالى، بسبب الصراع الذي يعيشه وخز الضمير وخوف الفضيحة والعقاب، والذلة الباطنية التي يحس بها، ولحرمانه من لطف الله تعالى، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه)، وهوما عبر عنه الشاعر:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وعلله بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتى لعاصي

١٠ـ ويعم أثر الذنوب حتى يتضرر به الآخرون وربما المجتمع كله. قال تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الأنفال: ٢٥). وروي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (إن الذنب شؤم على غير فاعله، إن عيره ابتلي، وإن اغتابه أثم، وإن رضي به شاركه).

والخلاصة: أنه إذا أراد الإنسان أن يوفقه الله تعالى للمزيد من طاعته فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن يحيى حياة مطمئنة سعيدة صافي البال فليترك الذنوب.

وإذا أراد طول العمر بخير وعافية وسعة رزق فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن تدوم عليه نعم الله وتقل عليه المصائب فليترك الذنوب.

وإذا أراد سلامة القلب واللحاق بالصالحين فليترك الذنوب.

ولذا كان يوم العيد الحقيقي هو كل يوم لم تجترح فيه ما يكرهه الله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين (ع) في بعض الأعياد: (إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد).

العواصم من الذنوب

وعلى رأس العواصم من الذنوب ـ وهو الأصل فيها ـ اللطف الإلهي الذي به عصم الله تعالى أنبياءه ورسله والصالحين من عباده قال تعالى: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) (يوسف:٢٤)، وقال تعالى: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) (الإسراء:٧٤).

في رواية عن الإمام الباقر (ع) قال: (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داوود النبي (ع) أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك: فأتاه داوود (ع) فقال له: يا دانيال، إني رسول الله إليك وهو يقول لك: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك. فقال له دانيال: قد بلغت يا نبي الله.

قال: فلما كان في السحر قام دانيال وناجى ربه فقال: يا رب إن داوود نبيك أخبرني عنك: إني عصيتك فغفرت لي، إني عصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أني إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزتك لأعصينك ثم لأعصينك ثم لأعصينك، إن لم تعصمني)، أي: يا رب إنك إن وكلتني إلى نفسي فإني لا أستطيع أن أعصمها من الذنوب إلا أن تعصمني أنت برحمتك.

ومن العواصم الدعاء والذكر واليقظة كلما اعترته، قال تعالى: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) (النحل:٩٩)، قال أمير المؤمنين (ع): (أكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان)، وقال (ع): (تحرز من إبليس بالخوف الصادق).

(ومنها) تجنب الحضور والتواجد في الأجواء المساعدة على المعصية لقطع منافذ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بحيث يصبح ارتكاب المعصية متعذرا، قال علي (ع): (من العصمة تعذر المعاصي) وعنه (ع) قال: (ثلاث من حفظهن كان معصوما من الشيطان الرجيم ومن كل بلية: من لم يخل بامرأة ليس يملك منها شيئا، ولم يدخل على سلطان، ولم يعن صاحب بدعة ببدعته)، والإكثار من الوجود في المساجد ومجالس الصالحين فإنها تمنع من الوقوع في الذنب، وعنه (ع): (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان... أو يترك ذنبا خشية أو حياء).

(ومنها) المراقبة والمحاسبة الدقيقة والمستمرة للنفس، والأحاديث الآمرة بذلك كثيرة، روى الشيخ الطوسي (قده) في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي هاشم الجعفري قال: (سمعت أبا محمد (ع) يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا، فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء، فأقبل علي أبو محمد (ع) فقال: يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت به نفسك فإن الإشراك في الناس أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ومن دبيب الذر على المسح الأسود).

(ومنها) استعظام الذنب واستفظاع عاقبته، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقيلا وبيلا، وإذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه).

و(إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه).

(ومنها) عدم الإعجاب بالنفس، وما يصدر منها من طاعات؛ لأن ذلك لا يوجب إيكال العبد إلى نفسه فيذنب حتى يكون له واعظا وموذيا من نفسه، في الكافي بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال: (إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب أبدا).

مكفرات الذنوب

إن الله تعالى يعلم ضعف العبد عن مسك زمام نفسه الأمارة بالسوء ومقاومة غواية الشيطان وتزيين الشهوات ويعلم بجهل الإنسان بعواقب أفعاله، وهو أشفق على عباده وأرحم بهم من أنفسهم، وأكرم من أن يقابلهم على سيئاتهم بمثلها، قال تعالى: (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) (فاطر:٤٥)، قال الإمام الصادق (ع): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به) في تفسير قوله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى:٣٠).

فضاعف سبحانه وتعالى لهم الحسنات وتمهل في تسجيل السيئات، في الخصال عن الإمام الصادق (ع) قال: (إذا هم العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه فإذا عملها أجل تسع ساعات فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم تكتب عليه وإن لم يندم ولم يتب كتبت عليه سيئة واحدة)، وفي رواية أخرى: قال الله تبارك وتعالى: (قد جعلت لهم التوبة أو بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس الحنجرة. قال يا رب حسبي) أي قال آدم (ع) حسبي تلك الفضائل لذريتي مما كان للشيطان من التأثير عليهم.

التتمة في الصفحة الرابعة

تتمة كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد

ثم لم يكتف سبحانه بكرمه ورحمته بذلك بل جعل لهم مكفرات لذنوبهم حتى يخفف عنهم أوزارهم التي احتملوها على ظهورهم بسوء أفعالهم، ويلاحظ على تلك المكفرات أن بعضها اختيارية وبعضها غير اختيارية. فالاختيارية أفعال ينبغي للإنسان أن يقوم بها ليكفر بها عن ذنوبه وأن لم يفعل ابتلي بغير الاختيارية وهي أشق عليه. لذا ورد في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد (ع): (إلهي لا تؤدبني بعقوبتك)، ما غير الاختيارية كالأمراض فهي أمور تعرض للإنسان بسبب منه أو من غيره فيعتبرها الله تعالى بكرمه كفارة للذنوب لمن تعرض لها، فعلى الإنسان أن يسعى بجد في طلب المغفرة والتكفير عن ذنوبه بالأسباب الاختيارية، ولا يجزع إذا حصل له ما يكفر ذنوبه. فإن بقاء ذنب واحد عليه إلى يوم القيامة كاف لفضيحته وإيلامه.

لذا ورد في أدعية شهر رمضان الاستعاذة من انقضائه أو انقضاء الليلة التي هو فيها وقد بقي عليه ذنب أو تبعة يؤاخذه بها: (اللهم، إني أعوذ بوجهك الكريم وبجلالك العظيم أن ينقضي أيام شهر رمضان ولياليه ولك قبلي تبعة أو ذنب تؤاخذني به أو خطيئة تريد أن تقتصها مني لم تغفرها لي سيدي سيدي سيدي).

من وصايا النبي (ﷺ) لابن مسعود: (يا ابن مسعود: لا تحقرن ذنبا ولا تصغرنه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحا ودما، يقول الله تعالى: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) (آل عمران:٣٠)، ثم يا ابن مسعود: إذا قيل لك: اتق الله، فلا تغضب فإنه يقول: (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم) (البقرة:٢٠٦).

أما مكفرات الذنوب فهي:

١ـ التوبة والاستغفار بصدق:

والتي تتضمن بحسب بيان أمير المؤمنين (ع) لمعنى الاستغفار الندم على ما صدر منه وعقد العزم بصدق على عدم العود، ورد المظالم إلى أهلها وتدارك ما فاته من التقصير في حقوق الله تبارك وتعالى وفرائضه، وحينئذ يكفر الله سيئاته وينسي الملائكة الحافظين ما كتبوا وكل الشهود بما فيهم جوارحه، ويمحو عنه آثار تلك الذنوب والخطايا، ويكتب له بدل الخسارة، قال تعالى: (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) (الفرقان:٧٠).

٢ـ القيام بالأعمال الصالحة والطاعات:

قال تعالى: (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) (هود:١١٤)، (ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) (الطلاق:٥).

قال رسول الله (ﷺ): (إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحها)، وعنه (ﷺ): (أوصيكم بتقوى الله... وأرضوا بها ذنوبكم وتداووا بها أسقامكم).

وورد هذا الأثر في أعمال كثيرة كزيارة الحسين (ع) وإحياء ليلة القدر وصوم بعض الأيام المعينة وبعض الصلوات المستحبة، وهي مذكورة في كتب السنن والمستحبات، نذكر منها ما روي عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال: (ثلاث ليالي من زار فيها الحسين (ع) غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ليلة النصف من شعبان والليلة الثالثة والعشرون من شهر رمضان وليلة العيد) وورد في صوم ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم وهي محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وأنها كفارة ذنوب تسعمائة عام وهكذا.

٣ـ الصلاة في أوقاتها:

عن الإمام الصادق (ع) قال: (لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء؟ إنما الصلاة مثل النهر الذي ينقي، كلما صلى صلاة كان كفارة لذنوبه إلا ذنب أخرجه من الإيمان مقيم عليه).

وننبه دائما إلى أن مثل هذه الأمور تلحظ مع شروطها كقول رسول الله (ﷺ): (لو صليتم حتى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتى تكونوا كالحنايا لم يقبل الله منكم إلا بورع)، وكقول الإمام الصادق (ع): (من صلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب).

٤ـ الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا:

قال رسول الله (ﷺ): (إن المؤمن إذا قارف الذنوب ابتلي بها بالفقر، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالمرض، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ابتلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كفارة لذنوبه وإلا ضيق عليه عند خروج نفسه، حتى يلقى الله حين يلقاه وما له من ذنب يدعيه عليه فيأمر به إلى الجنة).

وعن الإمام الصادق (ع) قال: (إذا أراد الله بعبد خيرا عجل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة).

٥ـ رعاية حرمة شهر رمضان من دعاء الإمام السجاد (ع) في وداع شهر رمضان: (السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب وأستر لأنواع العيوب) (السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطايا) حتى روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: سمي شوال شوالا لأن فيه شالت، أي ارتفعت وذهبت ذنوب المؤمنين فلم يبق فيه ذنب إلا غفره الله تعالى ببركة صيام شهر رمضان فإن أجركم أجير يعطى عند ختمه للعمل.

٦ـ الأمراض.

قال رسول الله (ﷺ): (السقم يمحو الذنوب)، وقال (ﷺ): (ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا)، وقال (ﷺ): (حمى ليلة كفارة سنة).

٧ـ الأحزان والهموم:

قال رسول الله (ﷺ): (إذا كثرت ذنوب المؤمن ولم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها به عنه)، وقال (ﷺ): (ساعات الهموم ساعات الكفارات. ولا يزال الهم بالمؤمن حتى يدعه وما له من ذنب).

٨ـ إتيان المساجد:

عن الإمام الصادق (ع) قال: (عليكم بإتيان المساجد، فإنها بيوت الله في الأرض، ومن أتاها متطهرا طهره الله من ذنوبه وكتب من زواره، فأكثروا فيها من الصلاة والدعاء).

٩ـ العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:

لأن هذه من أخلاق الله تبارك وتعالى وهو يجازي من اتصف بها بأكثر منها، قال تعالى: (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (النور:٢٢)، روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم العسرة)، ولكن مع الالتفات إلى معنى العفو ومنه ما قاله أمير المؤمنين (ع): (ما عفا عن الذنب من قرع به). وفي دعاء الإمام السجاد (ع): (اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا).

١٠ـ اتباع رسول الله (ﷺ) والاستنان بسنته الشريفة في الأفعال والأقوال:

قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (آل عمران:٣١).

١١ـ إغاثة الملهوف:

قال أمير المؤمنين (ع): (من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب).(٦)

١٢ـ كفارات خاصة:

إن بعض الذنوب والتقصيرات لها كفارات خاصة. فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: (إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صلاة ولا صوم، قيل يا رسول الله، فما يكفرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة).

وما ورد في القول المشهور: (كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان).

وما في قول النبي (ﷺ): (من الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات).

١٣ـ حسن الخلق:

قال الإمام الصادق (ع): (إن حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد. وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل).

١٤ـ كثرة السجود:

قال الإمام الصادق (ع): (جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله (ﷺ): أكثر من السجود فإنه يحط الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر).

١٥ـ الحج والعمرة.

قال رسول الله (ﷺ): (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحجة المتقبلة ثوابها الجنة. ومن الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات)، وعن أمير المؤمنين (ع) قال: (إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله... حج البيت واعتماره، فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب).

١٦ـ افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:

قال الإمام زين العابدين (ع): (إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله فأملوا بأولها وآخرها خيرا يغفر لكم ما بين ذلك).

١٧ـ سكرات الموت:

قال رسول الله (ﷺ): (الموت كفارة لذنوب المؤمنين).

١٨ـ الصلاة على محمد وآله:

قال الإمام الرضا (ع): (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدما).

والحمد لله رب العالمين وصل الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تتمة احذروا مدعي الزعامة بغير حق

فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويدا لا يغركم حتى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متينا فرويدا لا يغركم حتى تنظروا أمع هواه، يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلبا للرئاسة حتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا مهينا. ولكن الرجل كل الرجل نعم الرجل، الذي جعل هواه تبعا لأمر الله، وقواه مبذولة في رضى الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأن كثير ما يلحقه من سرائها ـ إن اتبع هواه ـ يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسكوا، وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة.)(١٠) أقول: يبين الإمام السجاد (ع) في هذه الرواية بعض أساليب المكر والخداع للوصول إلى الزعامة والرئاسة، وهي متنوعة وعديدة، ومحورها جميعا أناس يفشلون في الوصول إلى المرتبة التي تؤهلهم لقيادة الأمة، فيبتدعون الطرق التي تستهوي العامة وتنطلي عليهم، فبعضهم يتجه إلى معارضة السلطة وحمل السلاح لمواجهتها كبعض العلويين في زمان الأئمة (ع) وواجهوا أئمتنا بكلمات وقحة.

وبعضهم يدعي الانتساب إلى الإمام المهدي مع أن مراجعة بسيطة لسجل الأحوال المدنية يكشف زيف دعواه.

وبعضهم يلتجئ إلى الغيبة والاحتجاب عن الناس وإطلاق الادعاءات الغيبية.

وبعض يتلفع بثياب القداسة والزهد في الدنيا لخداع الناس ويشتري ضمائر جماعة يضفون عليه أسمى الألقاب طمعا بفتات الدنيا الذي يرميه إليهم.

ناهيك بأساليب بعض أبناء مراجع الدين عند وفاة آبائهم فيبتكرون الأفكار التي تحافظ على استمرار استفادتهم من امتيازات واستحقاقات المرجعية مع وضوح أن هذه الامتيازات هي للموقع تنتقل إلى المؤهل له، وليست لشخص المرجع حتى يرثها أبناؤه.

والعجب كل العجب ليس من هؤلاء المدعين المتقمصين ما ليس لهم، وإنما ممن يصدقهم ويتبعهم بغير دليل ولا مراجعة وفحص عن مصداقيتهم، مع وضوح بطلان دعاواهم لتنافيها مع أسس مدرسة الأئمة الأطهار (ع) من الرجوع إلى العلماء المجتهدين العاملين الذين وصفهم الحديث السابق بأنهم يشفقون على الأمة كالوالد الرحيم، لذا وصفهم الحديث الشريف بأن أشد الناس حسرة يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره. فالله الله في دينكم ولا تقعوا في فخوخ الدجالين، والله تعالى هو المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء.

(١٠) بحار الأنوار: ٢/٨٤ ح٥ عن الاحتجاج وتفسير العسكري.

يمكنكم إرسال استفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : [illegible].com
ويمكنكم تصفح موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي